



عندما تسير في العاصمة دمشق في هذه الأيام، سوف تشاهد فرقاً واضحاً بين دمشق قبل أربع سنوات ودمشق اليوم، فهناك العديد من السيارات وال محلات التي ترفع علم إيران بشكل علني، وهناك سيارات من نوع "هرم" تسير في شوارع دمشق، وتضع أعلاماً لإيران و"حزب الله" مع أغاني مذهبية بامتياز، وترى أيضاً العديد من العناصر المسلحة التي تضع عصبات على أيديها ورؤوسها كتب عليها "يا زينب" و"يا حسين" و"يا علي".

وبات الاحتلال الإيراني واضحاً لكل شخص متواجد في دمشق، فإذا مررت بالقرب من حي العمارة ومحيط الجامع الأموي ومقام السيدة رقية، ترى حسينيات وحملات شيعية أتت من كل صوب ل تقوم بطقوتها، المراقب للمنهجية المتبعة في عملية التغيير الديموغرافي المنظم في سوريا، يكتشف أن المناطق تم اختيارها بعناية لجعلها مناطق مختلطة مذهبياً بعدما كانت سنية في غالبيتها.

لكن النظام كان سعى في السابق إلى إحداث تغيير ديموغرافي، حيث تعمد حافظ الأسد توطين العلوبيين في مدن رئيسة، مثل دمشق وحمص واللاذقية حين استجلبهم من جبال الساحل، بقصد إعادة تركيب البلاد إدارياً واقتصادياً وسياسياً.

وتعتبر الثورة السورية من أهم الأسباب التي ساهمت في الكشف عن مشروع إيراني خفي بدأ قبل الثورة من خلال التواجد الشيعي في بعض الأحياء التي تتضمن مزارات دينية شيعية، والتي يعتبر الكثير منها وهمياً تم إيجاده كمبرر لتزايد التواجد الشيعي في سوريا، إلا أن إيران وجدت بالأحداث الأخيرة ذريعة لتفويض النفوذ الشيعي المسلح، من خلال إقحام المقاتلين الشيعة في بعض المعارك الاستراتيجية، والتي تعد مركز انتلاق أساسياً لتحقيق المشروع الإيراني الطائفي كما حدث في القلمون والقصير والأحياء الجنوبية من دمشق، تمهدًا لفرض نفوذهما على هذه المناطق واحتلالها، وهو ما يؤكده منع قوات النظام وجيشه من الدخول إليها.

تهجير مذهبية:

فمسلسل التهجير المذهبي، وتوطين عائلات المرتزقة من عناصر الميليشيات، بات واضحاً أنه الهدف الأساسي وراء الدعم الإيراني المستميت لنظام بشار الأسد، وهو ما ينذر باحتلال قريب للبلاد، والذي لم يعد خافياً على أحد مع تسارع الأحداث والتصریحات المعلنة من القيادات المختلفة سواءً السورية أو الشیعیة.

الناشط عدنان الكاتب المتواجد في درعا، أكد أن الثوار وجدوا العديد من الوثائق التي تفيد بأن ميليشيا "حزب الله" هي التي كانت تدير المعارك في بصرى الشام ومحيطها، قبل تحريرها من قبل الثوار، وأنهم قاموا بتجنيد العديد من أبناء مدينة درعا الذين ينتمون للطائفة الشیعیة، أرسلوهم إلى الجبهات، ومنهم مخبرون داخل المناطق المحررة.

و قبل عامٍ من الان، أصدرت حكومة النظام قراراً يدعو مخاتير المناطق إلى تقديم المنازل الفارغة من سكانها في دمشق، لعائلات المقاتلين الذين يقرون إلى جانبها، أما عن الأسلوب المتبعة في المدن المراد السيطرة عليها تمهدأ لاستيطانها، فأشار ناشطون إلى تعمد النظام والميليشيات الطائفية تكثيف القصف والقنص على البلدات المحيطة بالمنطقة، بالإضافة للحصار الخانق ومنع دخول الغذاء والدواء للسكان.

توطين عائلات المرتزقة من الميليشيات:

وبعدما تتأكد من إنهاكها لأي مقاومة قد تتعرض لها، تقوم الكتائب والميليشيات الشیعیة باقتحام المدينة، وتنفذ مجازر بشعة بحق الأهالي، وتعمد هذه الميليشيات تسریب أخبار هذه المجازر، لا سيما عمليات الاغتصاب وبعض الصور والفيديوهات، بحيث تتحقق حركة نزوح كبيرة لمن كان قد بقي من الأهالي، تمهدأ لتوطين عائلات المرتزقة من عناصر الميليشيات وفرض سيطرتها هناك.

وأكد "أبو رائد الشامي" الناشط في جنوب دمشق، أن "محيط مقام السيدة زينب خالٍ من أهله وكذلك الحجيرة والذیابیة"، مضيفاً: "حاول الأهالي مرات عدة العودة، لكن الميليشيات الشیعیة منعهم، ومنعوا الشیعیة أبناء الحي نفسه، وقاموا بطردهم أيضاً على الرغم من أنهم أبناء طائفة واحدة، وحالياً المنطقة للشیعیة القادمين من لبنان والعراق وإیران فقط"، وبالتالي تحولت البلدة إلى مركز لجتماع هذه الميليشيات، ونقطة انطلاق لاعتداءاتها على السوريين".

أحداث الربداني الأخيرة أيضاً، جعلت إیران تتتصدر المشهد السوري، حين أعلنت أنها تفاوض الثوار واتفقت معهم على هدنة لمدة ستة أشهر، وتم استبعاد النظام من طاولة الحوار علناً، كل ذلك يؤكد أن إیران هي من بات صاحب الأرض والقرار، وما يزيد الشكوك حول المشروع الإیراني، هو سعي إیران لتشكيل قوة عسكرية شیعیة كميليشيا "حمو" التي شكلتها مؤخراً في سوريا، وتعمل على تزويدتها بأسلحة تفوق بتطورها ما تملكه قوات النظام، لجعل منها شبيهة بـ"حزب الله" في لبنان أو الحوثيين في اليمن، أو كميليشيات "الحشد الشعبي" الشیعیة في العراق.

وعملية التقسيم باتت أمراً واقعاً بعد تضافر الدول حول مصالحها، وبعد عجز النظام مدعوماً بحلفائه عن استعادة ما فقده من مدن وقرى، وبالتالي انحصر هدفه الآن بإحكام السيطرة على ريف دمشق والعاصمة والقلمون مروراً بحمص للوصول إلى الساحل السوري، ومن الواضح أن خطط الهدم تطال الأحياء الثائرة في جنوب دمشق وصولاً إلى حرستا، وهو ما تعرضت له تسعه أحياء في حمص ومخيّم النازحين في درعا وريف مدينة السلمية.

هدم منازل:

ومؤخراً تم هدم منازل في منطقة المزة على رؤوس أصحابها ممن رفضوا الخروج، بحجج البدء بمشروعين لتنظيم منطقة جنوب شرق المزة ومنطقة جنوب المتعلق الجنوبي، والتي تشمل المنطقة الممتدة (جنوب داريا، القدم، العسالي، نهر عيشه، وبساتين القنوات) ما يمهد لتمرير النظام والقوات الداعمة له حول دمشق وحمص.

ويخدم هذا الحيز الجغرافي الجهات المختلفة المتنازعة في سوريا، فهو يخدم إسرائيل من خلال محافظته على خطوط

التماس مع النظام الحامي لحدودها، كما يشكل امتداداً طبيعياً لمنطقة البقاع اللبناني، حيث معقل "حزب الله"، ويخدم المصالح الإيرانية من خلال تحقيق مشروعها الصفوی الممتد من طهران إلى بغداد ودمشق وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط، وهو ما صرّح به مستشار خامنئي، الجنرال رحيم صفوی، ويخدم مصالح روسيا في الحفاظ على قاعدة طرطوس ومراکزها على الساحل السوري.

وبعد خمس سنوات من عمر الثورة السورية، تظهر الدراسات أن نحو نصف الشعب السوري أصبح مهجراً، ونصف النازحين هُجّروا إلى خارج البلاد، بينما النصف الآخر هُجّر إلى مناطق أخرى في الداخل السوري، وتشير الأرقام التقديرية للتهجير والنزوح داخل البلد إلى نحو ستة ملايين نسمة، أما الأرقام التقديرية للجوء خارج البلد، فتتحدث عن نحو ثلاثة ملايين نسمة، وهو ما ينذر بحجم المأساة التي ستزداد خلال الأيام المقبلة مع استمرار الهجرة بهذه الوتيرة. وبالقدر الذي يهاجر وينزح الكثير من السوريين من بلدتهم، يزداد التواجد الإيراني ويتوغل أكثر في المنطقة تمهدًا لإحكام سيطرته عليها، ومع التدخل الروسي أصبح الأمر أخطر وأكثر.

المصادر: